جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنين بدسوق

مجلة الدراية
https://drya.journals.ekb.eg

مجلة الدراية
مجلة علمية محكمة ربع سنوية

العدد الثامن والعشرون [يوليو ٢٠٢٥م]

البنيات الجذرية في روايتي "رحيل اليمامة" و"في انتظار مجيء الرجولة" لإبراهيم الخضير مقاربة موضوعاتية

دكتور

عبد الإله بن موسى آل سوداء

الأستاذ المساعد في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المملكة العربية السعودية

البنيات الجذرية في روايتي "رحيل اليمامة" و"في انتظار مجيء الرجولة" لإبراهيم الخضير – مقاربة موضوعاتية

عبد الإله بن موسى آل سوداء.
كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني: bensawda@gmail.com

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى مقاربة النص الروائي مقاربةً موضوعاتية تتغيّا تحديد البنيات الجذرية الكامنة في نموذجين روائيين يتضمنان بنيات جذرية مشتركة تنم عن وجود جذورٍ من الأفكار الرئيسة تتغلغل في تضاعيفهما، وهما روايتا: "رحيل اليمامة" و "في انتظار مجيء الرجولة" لإبراهيم الخضير، وهي دراسةٌ تنتظم أصالةً في سلك الدراسات الأدبية، بالنظر إلى تناولها مُنجَزًا إبداعيًا روائيًا، ولكنها إلى ذلك تتداخل مع حقل معرفي آخر، هو علم النفس، إذ ستتكشف من خلالها نقاط الالتقاء التي تجمع بين المنهج النقدي المتخذ في تحليل النص وهو المنهج الموضوعاتي(الجذري)، وبين علم النفس، عبر استعراض هذه البنيات الجذرية وتحليلها.

هذه الدراسة ليست بصدد إجراء المنهج النفسي وتطبيقه على الروايتين، ولكن مدار البحث حول المدونة، ساعيًا إلى الكشف عن شبكة الأفكار الملحة، ورصْدِ الموضوعات الرئيسة الظاهرة أو الكامنة في المنجزين الروائيين للكاتب، بالقدر الذي يتيحه المنهج الموضوعاتي.

أظهرت نتائج الدراسة أن هناك فكرة ملحة في روايتي(رحيل اليمامة) و(في انتظار مجيء الرجولة) تتمثل في أنّ المجتمع الذي تصورأنه يرى أن الرجولة مرتبطة بالدرجة الأولى بمقدرة الرجل الجنسية، كما توصلت إلى أن فكرة وجود الحب الروحي الخالص من المطالب المادية تعد بنية جذرية عميقة في كلتا الروايتين.

الكلمات المفتاحية: البنية الجذرية، المنهج الموضوعاتي، الطفرة الروائية، المقاربة الموضوعاتية، علم النفس الحديث.

The Root Structures in Ibrahim Al-Khudair's Novels "Rahil Al-Yamama" and "Waiting for the Arrival of Manhood": A Thematic Approach

AbduleIah bin Mousa Al-Sawdaa.
College of Arabic Language, Imam Muhammad bn Saud Islamic University, Saudi Arabia.
Email: bensawda@gmail.com

Abstract:
This study seeks to approach the novel text with a thematic approach that aims to identify the underlying root structures in two novel models that include common root structures that indicate the presence of roots of main ideas that penetrate their folds. These are the novels: “The Departure of the Dove” and “Waiting for the Coming of Manhood” by Ibrahim Al-Khudair. It is a study that is inherently part of the literary studies, given that it deals with a creative, novelistic achievement. However, it also overlaps with another field of knowledge, namely psychology, as it will reveal the points of convergence that combine the critical approach adopted in analyzing the text, which is the thematic (radical) approach, and psychology, through reviewing and analyzing these radical structures.
This study is not intended to apply the psychological approach to the two novels, but rather to focus on the corpus, seeking to uncover the network of pressing ideas and to identify the main themes, apparent or latent, in the author's two novelistic achievements, to the extent that the thematic approach allows.
The results of the study showed that there is a pressing idea in the novels (The Departure of the Dove) and (Waiting for the Coming of Manhood) which is that the society that I imagined sees manhood as primarily linked to a man’s sexual ability. It also concluded that the idea of the existence of spiritual love free from material demands is a deep root structure in both novels.

Keywords: Radical structure, Thematic approach, Novelistic mutation, Thematic approach, Modern psychology.

المقدمة:

من الملحوظ الجلي بروز طفرةٍ روائية سعودية في العقدين الماضيين على صعيد الإصدار الروائي كمًا ونوعًا [1]، وهي طفرةٌ تحفز النقاد على نبش هذا الركام من الروايات، ودراسته من كافة جوانبه، حيث تتنوع موضوعاته من ناحية الشكل أو المضمون، الأمر الذي يغري الباحثين باستكشافه، وتجلية هذه الموضوعات بدراستها وإجراء المناهج النقدية عليها.

وفي هذا السياق، تحاول هذه الدراسة مقاربة النص الروائي مقاربةً موضوعاتية تتغيّا تحديد البنيات الجذرية الكامنة في نموذجين روائيين يتضمنان بنيات جذرية مشتركة تنم عن وجود جذورٍ من الأفكار الرئيسة تتغلغل في تضاعيفهما، وهما روايتا: "رحيل اليمامة" و "في انتظار مجيء الرجولة" لإبراهيم الخضير، وهي دراسةٌ تنتظم أصالةً في سلك الدراسات الأدبية، بالنظر إلى تناولها مُنجَزًا إبداعيًا روائيًا، ولكنها إلى ذلك تتداخل مع حقل معرفي آخر، هو علم النفس، إذ ستنكشف من خلالها نقاط الالتقاء التي تجمع بين المنهج النقدي المتخذ في تحليل النص وهو المنهج الموضوعاتي(الجذري)، وبين علم النفس، عبر استعراض هذه البينات الجذرية وتحليلها.

ولابد من الإشارة إلى أن البنية الجذرية في مفهوم المنهج الموضوعاتي هي وحدات دلالية متغلغلة في النص، ومرتبطة في الوقت نفسه بالسلوك النفسي للأديب(منشئ النص)، إذْ تعرّف المعاجمُ المنهجَ الجذري الموضوعاتي بأنه «شبكة منظمة من الأفكار الملحة على أديب أو

(١) ينظر: حركة التأليف والنشر الأدبي في المملكة العربية السعودية خلال عشرين عامًا: ٢٠٠٠-٢٠٢٠م، خالد بن أحمد اليوسف، مركز البحوث والتواصل المعرفي، الرياض-السعودية، ط١، ٢٠٢١م.

كاتبٍ ما»[١] ، وإلحاح أفكارٍ ما على الأديب قد يشير إلى عُقدةٍ مترسبة في اللاوعي، أو رغبةٍ في التخلص من أثقالٍ شعورية معينة بالإلحاح على فكرةٍ ما أو صورةٍ بعينها؛ فالنظرية الجذرية «تضع أدوات التحليل النفسي في خدمة العمل الأدبي ... فليس هناك فنان أو أديب يستطيع أن يتجنب أو يهرب من الرواسب والتجارب الماضية والعقد النفسية المترسبة في عقله الباطن، وهي بمثابة الجذور الشخصية الراسخة التي لابد أن تترك بصماتها على إبداعاته، وهي بصماتٌ ذاتية بطبيعتها، لكنها في الوقت نفسه تترك علاماتها على بنية العمل الأدبي»[٢] ، فوجود الجذر بهذا المعنى في وجدان الأديب يشبه إلى حدٍ كبير مفهوم العقدة في التحليل النفسي عند فرويد[٣]، ومن أهم من تحدث عن مفهوم الجذريّة ضمن النقد الموضوعاتي الناقد الفرنسي جان بول فيبر[٤].

ولا يَعنى هذا التعريفُ للمنهج الجذري(الموضوعاتي) أن الدراسةَ في صدد إجراء المنهج النفسي وتطبيقه على الروايتين، إذْ إن إصدار الأحكام ذات الدلالات النفسية على كاتب الرواية ليس من شأن هذه الدراسة، وإنما سيكون مدار البحث حول المدونة، ساعيًا إلى الكشف عن شبكة الأفكار الملحة، ورصْدِ الموضوعات الرئيسة الظاهرة أو الكامنة في المنجزين الروائيين للكاتب، بالقدر الذي يتيحه المنهج الموضوعاتي، مِنْ قَبيل:

ما الأفكار المحورية التي طغتْ على هاتين الروايتين؟ وما جذور موضوعات الروائي الرئيسة الكامنة في أعماق النصوص؟ وما المظاهر

(١) موسوعة النظريات الأدبية، نبيل راغب، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، الجيزة- مصر، ط١، ٢٠٠٣م، ص٢٥٤.

(٢) المرجع السابق، ص٢٥٥.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ٢٥٦.

(٤) المرجع السابق، ص٢٥٤.

الفرعية للموضوعات الرئيسة؟ وما أثر الأفكار التي ألحتْ على الروائي في إنشاء شخصياته الروائية؟ وما تأثير التخصص النفسي للروائي في صُنع أحداثه؟

هذه الأسئلة وغيرها هو ما ستسعى الدراسةُ إلى تتبعه، والوقوف عليه، وقد سُبِقَتْ هذه الدراسة بدراسةٍ عنوانها: "الرواية النفسية عند إبراهيم الخضير –دراسة نقدية" للباحث: حسن بن أحمد الزهراني، وهي دراسةٌ تهتم بإبراز موضوعات علم النفس التي وظفها الروائي في رواياته، وتلتقي في بعض نواحيها مع هذه الدراسة، وفيها إضافاتٌ تُذْكَرُ وتُشْكَر، إلا أنها لا تُعنَى بتوظيف المنهج الموضوعاتي، وتَتَبُّعِ جذور الموضوعات في الأثر الأدبي، وهو ما ستهتم به دراستي هذه، وأراها ناحيةً بحثية لم يتطرق إليها باحثٌ من قبل في روايات إبراهيم الخضير، حيث تُرصَدُ في روايتيه المذكورة سلفًا ثيماتٌ مشتركة، تتفرع أغصانُها في غضونهما، وتنبثّ في تضاعيفهما عبر الأحداث والشخصيات، وهذا جانبٌ بحثي بِكرٌ لم يطرقه أحدٌ حسب علمي واطلاعي.

ويَجدر التنبيه إلى أنّ النقاد بصفةٍ عامة، حين يُخضِعُون روايةً ما أو مجموعةً من الروايات للدرس والتحليل، لا يعني ذلك أنهم بالضرورة يُقِرُّون بمضامينها التي قد تبدو خارجةً عن الذوق الأخلاقي في بعض مقاطعها، أو أنهم يرغبون برواجها بين المتلقين، إذْ ليس من مهام الناقد الأدبي الترويج لمضمون العمل الإبداعي أو التنفير منه، وإنما تتجلى مهمته في إبراز ملامح الرؤية والتشكيل للمنجز الأدبي، مع ترك المتلقي يَحكم بنفسه على المضمون أو الشكل بعد اطلاعه على الجهد النقدي المبذول، والمهم هو أن يكون الناقد باذلاً للجهد وموضوعيًا في الآن نفسه عند الدلالة على مضامين النص أو بنياته الشكلية.

وأسأل الله العون والتوفيق، وأن ينفع بهذا العمل ويجعله مسددًا ومفيدا للدرس النقدي الروائي.

مشكلة الدراسة

لقد برزت طفرة روائية سعودية في العقدين الماضيين على صعيد الإصدار الروائي من حيث الكم والنوع أدت بدورها إلى تحفيز النقاد وتشجيعهم على نبش الركام من الروايات ودراسته من مختلف جوانبه، حيث تتعدد موضوعاته من حيث الشكل والمضمون، الأمر الذي يحفز الباحثين لاستكشافه وتوضيح هذه الموضوعات من خلال دراستها وإجراء المناهج النقدية المختلفة عليها.

وفي هذا السياق فإن هذه الدراسة تحاول مقاربة النص الروائي مقاربةً موضوعاتية تتغيّا تحديد البنيات الجذرية الكامنة في نموذجين روائيين يتضمنان بنيات جذرية مشتركة تنم عن وجود جذورٍ من الأفكار الرئيسة تتغلغل في تضاعيفهما، وهما روايتا: "رحيل اليمامة" و "في انتظار مجيء الرجولة" لإبراهيم الخضير، وهي دراسةٌ تنتظم أصالةً في سلك الدراسات الأدبية، بالنظر إلى تناولها مُنجَزًا إبداعيًا روائيًا، ولكنها إلى ذلك تتداخل مع حقل معرفي آخر، هو علم النفس، إذ ستنكشف من خلالها نقاط الالتقاء التي تجمع بين المنهج النقدي المتخذ في تحليل النص وهو المنهج الموضوعاتي(الجذري)، وبين علم النفس، عبر استعراض هذه البينات الجذرية وتحليلها.

أسئلة الدراسة

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ما الأفكار المحورية التي طغتْ على روايتي "رحيل اليمامة" و "في انتظار مجيء الرجولة" لإبراهيم الخضير؟
٢. ما جذور موضوعات الروائي الرئيسة الكامنة في أعماق النصوص؟
٣. ما المظاهر الفرعية للموضوعات الرئيسة لدى الروائي؟
٤. ما أثر الأفكار التي ألحتْ على الروائي في إنشاء شخصياته الروائية؟
٥. ما تأثير التخصص النفسي للروائي في صُنع أحداثه؟

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة الحالية إلى ما يلي:

١. مقاربة النص الروائي مقاربةً موضوعاتية تتغيّا تحديد البنيات الجذرية الكامنة في نموذجين روائيين يتضمنان بنيات جذرية مشتركة تنم عن وجود جذورٍ من الأفكار الرئيسة تتغلغل في تضاعيفهما، وهما روايتا: "رحيل اليمامة" و "في انتظار مجيء الرجولة" لإبراهيم الخضير.

٢. التعرف على الأفكار المحورية التي طغتْ على روايتي "رحيل اليمامة" و"في انتظار مجيء الرجولة" لإبراهيم الخضير.

٣. تحديد الأفكار التي ألحتْ على الروائي في إنشاء شخصياته الروائية.

٤. التعرف على المظاهر الفرعية المختلفة للموضوعات الرئيسة لدى الروائي.

٥. التعرف على مدى تأثير التخصص النفسي للروائي في صُنع أحداثه.

هيكل الدراسة

تناولتُ الموضوع من خلال خطة قُسمت إلى ما يلي:

- مقدمة.
- تمهيد.
- الفصل الأول: البنيات الجذرية للموضوعات: وينقسم إلى ثلاثة مباحث تتمثل فيما يلي:
  - المبحث الأول: الرجولة الناقصة.
  - المبحث الثاني: الحب الروحي المفقود.
  - المبحث الثالث: المرأة العابثة.
- الفصل الثاني: دور الفرويدية في تشكيل الشخصيات: وينقسم إلى ثلاثة مباحث تتمثل فيما يلي:
  - المبحث الأول: الإنسان تحت تأثير الـ(هو/هي).

- المبحث الثاني: عقدة الكبت.
- المبحث الثالث: أثر شخصية كاتب الروايتين في شخصية البطل.

- نتائج الدراسة

الدراسات السابقة

لم يعثر الباحث إلا على دراسة واحدة، هي "الرواية النفسية عند إبراهيم خضير" للباحث حسن الزهراني، إلا أن الدراسة الحالية تختلف عنها بتوظيف المنهج الموضوعاتي، بينما الدراسة التي عثرتُ عليا تهتم بربط موضوعات علم النفس بنتاج الخضير.

التمهيد:

أولًا: نبذة عن روايتي: "رحيل اليمامة" و"في انتظار مجيء الرجولة".

أ-الرواية الأولى: رحيل اليمامة.

صدرتْ هذه الرواية في طبعتها الأولى عام ٢٠٠٨م عن مؤسسة الانتشار العربي(بيروت- لبنان)، وتقع في ٢٩٩ صفحة، وتُعدُّ ثاني رواياته صدورًا بعد روايته الأولى "عودة إلى الأيام الأخرى" الصادرة عام ٢٠٠٤م، وتدور أحداثها في مدينتي الرياض والقاهرة، والشخصية المحورية في الرواية هي شخصية (منصور) وهو طبيبٌ نفسي أعزب في الأربعين من عمره، سبق له الزواج ولكنه انفصل، ويعمل إلى جانب وظيفته في المستشفى كاتباً صحفيًا في إحدى الصحف بمدينة الرياض، وتشاركه الأحداثَ شخصيتان رئيستان، الأولى شخصية (يمامة) وهي فتاة في الثانية والعشرين من العمر، تتدرب في كلية الطب التي يعمل فيها (منصور) أستاذًا. والثانية شخصية (كفاح) وهي امرأة شابة وفقيرة من أصول لبنانية وتقيم مع أهلها في الرياض بصورةٍ غير نظامية، وقد عَرَفَها (منصور) من خلال (أبو مشعل) زميله في الجريدة التي يعمل بها.

وتبدأ الرواية بكلامٍ وصفي يتحدث فيه (منصور) عبر ضمير المتكلم عن بيئة عمله بوصفه طبيباً نفسيًا، وكاتبًا متعاونًا في الجريدة، وعن التغيرات التي مرتْ بها مدينة الرياض حيث يسكن ويعمل، ثم يصف نشأته وأبرز الأحداث التي أثرتْ فيه، ومنها انفصاله عن زوجته، ثم يصف علاقته بزملائه في الجريدة التي يعمل بها متعاونًا، وكيف أن أحد زملائه طلب منه تقديم استشارة نفسية لإحدى معارفه من النساء(كفاح)، فيوافق بعد تردد، ويتم اللقاء وتطلب منه السفر معها إلى القاهرة حتى تستطيع شرح مشكلتها، ويسافر أيضًا بعد تردد، وقبل سفره تجري بينه وبين طالبته في الكلية(يمامة) حوارات متعددة، تحاول من خلالها (يمامة) أن تَحُلّ عقدة

(منصور) النفسية التي جعلته وحيدًا راغبًا عن النساء، بل وحتى عن إنشاء الصداقات العميقة مع الآخرين.

ويحين موعد سفر (منصور) إلى القاهرة استجابةً لطلب(كفاح) تلك المرأة الغامضة التي لم تُفصح عن سبب طلبها لحضور (منصور) إلى القاهرة، فيكتشف بعد سفره ومُكثه بجوارها أنها تعرضتْ لاستغلال من رجلٍ ثري ذي سطوة وجاه، إذ جعلها رفيقةً له، وانتهز فرصة كونها تقيم إقامةً غير نظامية بأنْ مارس عليها أنواعًا من السيطرة والتحكم بالترغيب تارةً، والترهيب تارات. ويتعاطف معها (منصور) ويحاول مساعدتها وإخراجها من هذه الورطة، ولكن إرادتها تنهزم أمام جبروت هذا الرجل الثري ذي النفوذ والجاه، ويؤول بها الأمر إلى الانتحار قبل أن ينفذ الرجل الثري وعده بإعادة (كفاح) وأهلها إلى وطنهم في الخارج عقوبةً لها، كونها كشفت عما بينها وبينه من العلاقة.

وتنتهي الروايةُ بفصلٍ يتضمن خبر مصارحة (يمامة) لـ(منصور) بأنها فقدتْ عذريتها، وأن سبب تواصلها الماضي معه هو طلب المساعدة منه لكي يرشدها إلى حل حتى تستعيد غشاء البكارة، ثم إن (يمامة) تعثر على طبيب يجري لها عملية الترقيع، وتسافر لأمريكا رغبةً منها في العيش بحرية سلوكية غير مقيدة بأي شيء من القيود.

ب-الرواية الثانية: في انتظار مجيء الرجولة.

وهي روايته الثالثة بعد رواية "رحيل اليمامة"، وتشترك هاتان الروايتان في عديدٍ من الثيمات، حتى لكأنّ رواية "في انتظار مجيء الرجولة" تكملة لسابقتها؛ إذ يُلحظ فيهما تشابهٌ في السمات للشخصية المحورية في الروايتين، حيث تُرصَدُ شخصية (منصور) في رواية "رحيل اليمامة" تتشابه سماتها مع الشخصية المحورية في رواية "في انتظار مجيء الرجولة" ، ويشعر المتلقي بأنها امتدادٌ لشخصية (منصور) في الرواية السابقة لها في

الصدور، وأيضًا يُلحظُ في الروايتين التركيز على قضايا معينة، مثل: معاني الرجولة في المجتمع المحلي، وقضية العجز الجنسي للرجل وموقف المجتمع منه، والعادات والتقاليد المتعلقة بالمرأة في هذا المجتمع.

والرواية صادرة في طبعتها الأولى عام ٢٠١٠م عن مؤسسة الانتشار العربي(بيروت- لبنان)، وهي رواية تقع في ٣١٥ صفحة، وتدور أحداثها بين الرياض ولندن، حيث يعاني طبيبٌ نفسي من عقدة نفسية تسببت في عجز جنسي ظل يلازمه، وهو عجز منشؤه نفسي، ورغم ذلك أقدم هذا الطبيبُ على الزواج، ظنًا منه أن معاني الرجولة الأخرى ستعوض زوجته(نضرة بهجت) عن هذا العجز البيولوجي الذي يعاني منه، ويتفاجأ بعد زواجه بمدة، أن زوجته تبدأ في التململ، بل يتطور الأمر حتى تعيّره بعجزه الجنسي وأنه ليس رجلا، فيضطر إلى السفر إلى لندن لإكمال دراساته المتعلقة بمهنته، وللعلاج أيضًا عند طبيبةٍ نفسية(الدكتورة إيفون أدمو) لعلها تفلح في فك هذه العقدة النفسية التي سببت له العجز عن ممارسة العلاقة الزوجية بشكلٍ طبيعي.

وقد استهلّ الروائيُ الروايةَ بسردٍ على لسان الشخصية المحورية عبر(ضمير المتكلم)، يسرد فيه الراوي المشارك (الشخصية المحورية) أحداث وصوله إلى لندن لإكمال الدراسات العليا في تخصص علم النفس العضوي، ثم يعود بالذاكرة إلى الزمن الذي ارتبط فيه بزوجته، وكيف أنه عانى من عدم قدرته على ممارسة العلاقة الزوجية كما يجب، ثم يوغل في الرجوع بالذاكرة إلى سنوات عمره الأولى، حيث يسرد ظروف نشأته في القرية، وكيف بدأت لديه أعراض العجز الجنسي، ثم يسهب في الحديث عن الجذور النفسية العميقة التي سببت ذلك العجز، وكيف استقبلتْ أمُّه صدمة أن ولدها يعاني مشكلة عضوية.

وحين ينتهي السرد الاسترجاعي يعود الساردُ إلى الحديث عن

محاولاته للعثور على علاج في لندن لدى الأطباء، وبعد محاولات يتعرف على إحدى الطبيبات النفسيات(الدكتورة إيفون أدمو) ويبدأ معها جلسات العلاج، ويرى منها سلوكات علاجية غير أخلاقية، وبعد عدة جلسات يتغير شعوره نحو المرأة إيجابًا، ثم إنه يلاحظ بأن الجلسات العلاجية أثمرت شيئًا ما، وأن الدكتورة إيفون لربما حلّتْ بعضًا من عقدته النفسية التي سببتْ له عجزًا جنسيًا، ثم تنتهي الرواية بحصوله على شهادة الدكتوراه وعودته إلى وطنه سعيدًا بهذا الإنجاز، رغم استمرار مشكلته الأزلية مع المرض الذي يعاني منه.

ثانيًا: لمحة عن الروايات النفسية في الأدب الحديث ونقدها.

برزت عديدٌ من الروايات في القرن الماضي متضمنةً مفاهيم وأدواتٍ إجرائية استفادتها من بعض مدارس علم النفس الحديث، كمدرسة التحليل النفسي التي كان من روادها سيغموند فرويد، وقد وضع دعائهما في نهاية العقد العاشر من القرن التاسع عشر الميلادي، وأَحْدَثَ بها نقلةً نوعيةً في أساليب إنشاء القصة والرواية، إذْ يُرصَدُ وجود صلاتٍ بين هذه المدرسة والقصص والأعمال الأدبية[١]، فمثلًا «من خلال مسرحية أوديب اكتشف فرويد التعبير الفردي والجماعي للرغبة الفردية التي يشترك فيها مع مرضاه من الجنسين»[٢] وأيضًا يمكن «أن يدل الأثر الأدبي ذاته على الكيفية التي تعيش بها الذاتُ تاريخَها وتعيد تشكيله في كتابتها»[٣]. إذن فالعلاقة بين القضايا النفسية ومضامين المنجر الإبداعي قائمة منذ نشأ الإبداع الأدبي

(١) ينظر: مدخل إلى المناهج النقدية في التحليل الأدبي، إعداد: مجموعة مؤلفين، ت: الصادق قسومة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ٢٠٠٨م، ص١٠٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٣٥.

(٣) المرجع السابق، ص١٩١.

في عصوره الأولى؛ إذ نجد فرويد يعود إلى مسرحية أوديب التي ألفت قبل الميلاد بعدة قرون، ويستنتج منها عدة أمور تتعلق بالتحليل النفسي.

وعلى صعيد الروايات العربية تُرصَدُ عديد من الروايات العربية ذات مضامين تتعلق بموضوعات مستقاةٍ من علم النفس، بل إنها تُنشِئ شخصياتها المتخيلة وأحداثَها المتصورة على أساسٍ من هذه الموضوعات، فبعض روايات إبراهيم عبدالقادر المازني تقوم على ذلك، كرواية "إبراهيم الكاتب" و"إبراهيم الثاني"، حيث وجد فيهما الناقدُ جورج طرابيشي فكرة نفسية متجذرة، دلتْ على فكرة ملحة لدى منشئ الروايتين، وهي (عقدة أوديب)[١]، تلك العقدة التي بنى الروائيُّ/المازني إحدى شخصياته القصصية على أساسها، بل إن المازني كان من أوائل الروائيين، إذ أراد ببعض رواياته «أن يطبق المنهج السيكولوجي في بناء الشخصيات على أساسٍ تحليلي، بحيث يحل التأمل الباطني محل الوقائعية والحبكة الحديثة»[٢]، وهو الأمر الذي أتاح للنقاد أنْ يكتشفوا مكامن المفاهيم النفسية في الروايات عمومًا، وفي الروايات العربية خصوصًا، حيث وجد الناقد جورج طرابيشي في رواية "إبراهيم الكاتب" الصادرة عام ١٩٣١م أن ذاتية المازني كانت طاغيةً عليه، فهو أسير ذاتيته، وينسج منها كثيرًا لينشئ بعض شخصياته القصصية، ويَعُدُّ طرابيشي هذا الملمحَ أولَّ خيطٍ دالٍ في رحلته الطويلة مع العقدة الأوديبية في الرواية العربية [٣].

على أنّ الروايات ذات المنحى النفسي تتابعتْ إصداراتُها في المنجز

(١) ينظر: عقدة أوديب في الرواية العربية، جورج طرابيشي، دار الطليعة، لبنان-بيروت، ط٢ ، ١٩٨٧م، ص٩-٥٣.

(٢) المرجع السابق، ص١٠.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص١١.

الروائي العربي، وتمثّلت على نحو واضح في بعض روايات إحسان عبدالقدوس وغيره من الروائيين الذين أفادوا من بعض مدارس علم النفس في رسم شخصياتهم القصصية، وتشكيل أحداثهم المتخيلة، والتوغل في سبر أعماق الشخصية ودوافعها وردود أفعالها تجاه الأحداث، ولعل أهم مدرسةٍ تأثرتْ وأثَّرَتْ في الأدب هي مدرسة التحليل النفسي؛ إذ «قدَّمَتْ للأدب والفن خدمات جليلة، وحققت للنقد مكسبًا منهجيًا جديدًا، إذ فتحت أمامه آفاقًا واسعة في تعمق الصور الفنية، وزودته بمفاتيح سيكولوجية لتحليل شخصيات الأدباء والفنانين»(١).

ويمكن القول إن الأدوات الإجرائية التي تقدمها نظرية التحليل النفسي مهمة في معرفة دوافع شخصية المبدع، وكيفية تشكيله للشخصيات المتخيلة داخل عمله الإبداعي، وهي ناحية تتماس –في نظري– مع المنهج النقدي الموضوعاتي(الجذري)، إذ يهتم هذا المنهج بالفكرة المتسلطة على ذهن المبدع، وشبكة الأفكار الملحة، والموضوعات الكامنة في أغوار النصوص الإبداعية، ووجه هذا التماس هو أن إلحاح فكرةٍ ما قد يشير إلى ملمحٍ ذي دلالة نفسية عند منشئ النص، وهو ما يعين على استنباط بنياته الجذرية الرئيسة على نحو دقيق، تلك البنيات الجذرية التي يتشكل حولها معظم إبداعه في عديدٍ من منجزاته الروائية.

(١) المدخل إلى نظرية النقد النفسي– سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد نموذجًا، زين الدين المختاري، منشورات اتحاد الكتاب العرب (كتاب رقمي) ، ١٩٩٨م، ص ١٥.

الفصل الأول: البنيات الجذرية للموضوعات

المبحث الأول: الرجولة الناقصة:

مفهوم الرجولة هو من المفاهيم الجدلية، إذ تطور استعمال كلمة (رجل) الدالة على نوع الجنس إلى استعمال مصدره (رجولة) على نطاق واسع في العصر الحديث، وجرى تحميلُه دلالات تدور حول معنى المروءة والكرم والشجاعة وقوة الشخصية، على أنه قد يُستعمل لفظ(رجل) للدلالة على هذه المعاني، ولكن المصدر (رجولة) غَلبَ على دلالته الصفات المعنوية.

ومن الملحوظ وجود علاقة بين الصفات المعنوية للرجولة وصفة القوة المستمدة من السمات الجسدية التي يتميز بها الرجل عن المرأة، يشير إلى ذلك أحد الباحثين بقوله معرّفًا معنى الرجولة بأنها: «النجدة، والكرم، والعفة، والشجاعة، والأمانة والقناعة، والتواضع»[(١)]، فهذه الفضائل أو الأخلاق مرتبطة بالرجل أكثر من المرأة، ولأجل هذا تُنسب إليه دون المرأة؛ لأنه القادر على إبقائها بما يمتلكه من قوةٍ جسدية، ونفوذٍ في الشؤون الحياتية العامة، أما المرأة فإنها لا تمتلك القوة إلا عن طريق الرجل [(٢)].

ويَلحظ الدارسُ لرواية "رحيل اليمامة" و"في انتظار مجيء الرجولة" أن فكرة (الرجولة الناقصة) تعد بنية جذرية تنطوي عليهما الروايتان جميعًا، وأعني بهذا الوصف أي الرجولة التي توافرت فيها معظم الصفات المعنوية الإيجابية، ولكنها تفتقد إلى القدرة الجنسية، فهي في نظر المجتمع الذي تصوره الرواية رجولةٌ عرجاء، وهي نظرةٌ تنعكس على الشخصية المحورية

---

(١) مقال بعنوان: الرجولة في أدبيات حمزة شحاته، محمد بن مريسي الحارثي، جريدة الرياض، ع١٣٨٠٧، ١٥ ربيع الأول ١٤٢٧هـ. وقد وصَفَ الأديب حمزة شحاته (الرجولة) بأنها(عماد الخلق الفاضل) في محاضرته التي ألقاها في بداية الأربعينيات الميلادية من القرن الماضي. ينظر: المرجع السابق.

(٢) يُنظر: المرجع السابق.

(منصور) في كلتا الروايتين، تلك الشخصية التي تتشكل سماتها على نحوٍ تبدو فيه متمثلةً بكل صفات الرجولة المعنوية، ولكنها تفتقد للقدرة الجنسية، فـ (منصور) رجل مصاب بالعجز الجنسي، ومع ذلك يقيم علاقات مع الفتيات لا تخرج عن حدود التسلية والمتعة، وتظل شخصيته معظم السرد مَسْرحًا لثيمة (الرجولة)، تلك الرجولة التي لا يملك لها دليلًا ماديًا ملموسًا يُقنع به مجتمعه الذي تصوره الرواية، إذْ هو مصابٌ بالعنّة، ويكون حينئذٍ في نظر هذا المجتمع فاقدا للرجولة بغض النظر عن أي شيء آخر، ويشير إلى هذا (منصور) بقوله:

«إن الأمر مختلف جداً في البلاد التي جئت منها، نظرة زوجتي السابقة والتي كانت تكاد تجن لكي تتزوج بي، تغيرت بشكل فظيع ومؤلم بعد أن اكتشفت حقيقة وضعي الفسيولوجي الجنسي»(١).

ويضيف في مقطعٍ آخر:

«هذه القطعة من اللحم التي تستهين بها الدكتورة إيفون جعلت حياتي أكثر من جحيم، يكفي ما سمعته من زوجتي السابقة ومن الممرضة فيونا بأنني لستُ رجلًا حقيقيًا، وهل بعد هذه الإهانة أمر أكثر إهانة من أن يعيش الرجل وهو يشعر بأنه ليس رجلًا! »(٢).

غير أن (يمامة) حين تكتشف أن (منصور) إنما قَبِل العلاقة معها استملاحًا لروحها الشائقة، واستجابةً لدوافع عاطفية بحتة لا أكثر، وأنه عاجز جنسيًا، تصاب بالصدمة، ثم تخاطبه قائلة:

« –أحبكَ الآن أكثر من أي وقتٍ مضى.

اكتفيتُ بابتسامةٍ باهتة.

(١) في انتظار مجيء الرجولة، ص٢٠٩.

(٢) المصدر السابق، ص٣٠١.

قالتْ مرة أخرى:

-أنت رجلٌ رائع، رجل برغم كل شيء، أنت أكثر رجولةً من أي رجلٍ عرفته! فالرجولة ملاصِقةٌ للإنسان، الفحولة ملازمةٌ للحيوان ! » [1].

ولكن كلامها هذا جاء ردَّ فعلٍ سريع على سلوك (منصور) معها، إذْ عرَفَتْ أنه يحبها لذاتها لا لجسدها، وإلا فقد كانت أحيانا تعيّره بالعجز الجنسي، إذ قالت له مرةً:

«إذا كان هناك رجل يستحق الاحترام لرجولته فهو أنت. أنت رجل حقيقي، ليس الرجل من له قضيب ويعتلي النساء ويضاجعهن ويتباهى بذلك. الرجولة سلوك وشجاعة ورقي، وهذا ما تتحلى به أنت، اعذرني إن كنت عيرتك مراتٍ بأنك لست رجلًا»[2].

وكأن اللاوعي الجماعي في المجتمع الذي تصوّره الرواية يستقر فيه اعتقادٌ مفاده أن الرجولة هي القدرة الجنسية فحسْب، بغض النظر عن الصفات الأخلاقية التي يتحلى بها الرجل وتُعرَفُ عنه، ورغم كون (منصور) طبيبًا نفسيًا يساعد المرضى النفسيين على تجاوز مصاعبهم، ويعمل في الجريدة متعاوناً، فضلاً عن علاقته العُذرية مع بعض النساء، تلك التي لا يشوبها تفكير جنسي، إلا أن ذلك لم يشفع له لينال عند هذا المجتمع لقب الرجل! ولم يشفع له عند زوجته التي تسببت لها بصدمة نفسية، حيث كان يعتقد أن مجرد عطفه وحنانه وكرمه معها سيجعلها تغض الطرف عن عجزه الجنسي، وإذا بها تقلب له ظهر المِجَنّ، وتعيّره بعدم الرجولة، وتطلب منه علاج العجز لكي يستعيد رجولته الحقيقية، بدلاً من رجولته العرجاء في نظرها.

(١) رحيل اليمامة، ص١٣٣.

(٢) رحيل اليمامة، ص٢٩٣.

والمقطع الآتي يوضح كيف عانى (منصور) من سلوك زوجته معه:

«عادتْ بي ذاكرتي إلى الأيام التي قضيتها زوجاً بالاسم فقط، منذ لياليا الأولى وحواراتنا المروعة عن مفهوم الزواج والرجولة، وكيف خرجتُ من تلك المناقشات الكئيبة مكسور الخاطر ذليلًا، أحمل إذلالي داخل نفسي. لم أسمح لأحدٍ بأن يطّلع على ما أعانيه من قسوة كلمات زوجتي. لقد كانت قطعةَ سكرٍ قبل أن نتزوج .. قطعة سكر تذوب على لساني ولا تذوب. دوماً كان طعم حلاوتها على لساني، كنت أقول لنفسي أخيرًا حطمتُ القيود، تخلصتُ من المخاوف، ودخلتُ العالم الذي كنت أخشاه طيلة حياتي، وإذا بي أجدُ نفسي في أسوأ موقفٍ أمر به في حياتي ! لم أكن أتخيل أن نضرة بهجت، الفتاة الرقيقة الخجول يمكن أن تصدر عنها كل تلك الكلمات القاسية المهينة التي زَرَعَت المذلة في نفسي وحطمت رجولتي بقسوة بالغة ... »[(١)].

فزوجته (نضرة بهجت) تتسم بالحياء والحب الصادق له قبل الزواج وفي بدايته، ولكنها تتغير شيئًا فشيئًا لتكون في نهاية المطاف كارهةً للرجولة الكسيحة/ رجولةِ زوجها، وهو كُرْهٌ يطال كل شيء جميل يتسم به (منصور/زوجها) !

(١) في انتظار مجيء الرجولة، ص١٧.

المبحث الثاني: الحب الروحي المفقود:

والمراد بالحب الروحي هو الحب الخالص من نوازع الجسد، أو الرغبات المادية، فهو حب يتسامى عن أنْ يُبذل في مقابل مطلبٍ مادي يرجوه المحب من الحبيب، أو أنْ يكون استجابةً لدافعٍ شهواني، وهو حب لا يقتصر على العلاقة العاطفية بين الرجل والمرأة، بل قد يشمل أنواعاً أخرى من العلاقات، ولكن الذي أرمي إليه في هذا المبحث هو العلاقة العاطفية بين الرجل والمرأة المبنية على حُب روحي، وهذا الموضوع يعد بنية جذرية في الروايتين، إذ تُلح الأفكار المتعلقة به، وتتناسل منبثةً في تضاعيف الأحداث وسمات الشخصيات القصصية.

وقبل أن أعرض لذلك، أجد من الجدير الإشارة إلى أن مفهوم الحب الروحي قديم، وقد عُرف منذ أفلاطون فيما أثر عنه حين تحدث عن (الحب الروحي) الذي سُمّي به فصار (الحب الأفلاطوني)، وهو مصطلحٌ مأخوذ من محاوراته الشهيرة، حيث قال في إحداها: «هناك كثير من المحبين يجعلون شهوة الجسد هدفهم الأول دون أن يُعنوا بطبيعة المحبوب وميوله، ومن المحتمل في هذه الحالات أن تنتهي صداقتهم يوم ينتهون من إرضاء شهوتهم»[(١)]. كما نجد في التراث العربي مفهومًا قريبًا من مفهوم الحب الأفلاطوني، وهو ما يُعرف بـ(الحب العُذري)، ويسميه أحد الباحثين بـ(الحركة العذرية) [(٢)] ويُعرِّفُ الحب العذري بأنه: «المظهر الفني للعواطف المتعففة والملتهبة في آن معًا، والتي وجدت أن هذا التعويض هو خير ما

(١) محاورة فايدروس لأفلاطون أو عن الجمال، ت: أميرة حلمي مطر، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص٤٧.

(٢) في الشعر الإسلامي والأموي، عبدالقادر القط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ص٧٢.

تطفئ به لهبها، وتتسامى به غرائزها»[١]. على أن وصف هذا النوع من الحب بالعفة أو العفيف الذي عادةً ما يوصف به الحب العذري بين الرجل والمرأة يحتاج إلى إعادة نظر «فإن الجانب العفيف وضعيًا الذي يحاول العذريون من خلاله معارضة الحياة الجنسية العربي الإسلامي لعصرهم، يبعدنا بدوره عن التعفف الحقيقي الذي تستلزمه كلمة وَرَع، ذلك أن الورع لا يتحقق بمجرد رفض العملية الجنسية المحرمة، والعذريون أنفسُهم واعون بذلك، فنحن نرى وإن بصورة عرضية كيف أن مخاوفهم مما يعده الله لهم تعاود الظهور من حين لآخر ... وعندما يطالب العذريون مؤقتًا بمتع النصف الأعلى من جسم الأنثى، فإنهم يبتعدون كذلك عن الحب الأفلاطوني الذي غالبًا ما يتكلم عنه الناس بصددهم»[٢]. وقد ازدهر التيار العذري في الأدب عمومًا، وفي الشعر خصوصًا إبّان العصر الإسلامي(عصر الخلفاء الراشدين والعصر الأموي)[٣] من غير تأثرٍ بالمسيحية أو الأفلاطونية كما يُزعَمُ[٤].

وإذا نظرنا إلى المدونة وتحديدًا في رواية "رحيل اليمامة" نجد علاقةً تنشأ بين (منصور/الشخصية المحورية) و(يمامة)، تلك الفتاة التي تدرس الطب في الكلية، وتتدرب في نفس الوقت في المستشفى الذي يعمل فيه (منصور)، وتتعرف عليه بداعي أنها طالبة تحتاج إلى خبرته العملية في الطب، ثم تنشأ علاقةٌ بينهما، تُبدي فيها (يمامةُ) رغبةً في الصداقة مع

(١) المرجع السابق، ص٧٨-٧٩.

(٢) سوسيولوجيا الغزل العربي-الشعر العذري نموذجاً، الطاهر لبيب، ت:مصطفى المسناوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان-بيروت، ص١١٨.

(٣) الحب في التراث العربي، محمد حسن عبدالله، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، ١٩٨٠م، ص٢٦٥.

(٤) المرجع السابق، ص٢٦٦-٢٦٧.

(منصور)، بينما هي تُخفي سببًا لأجله انخرطتْ في هذه العلاقة سيتضح في نهاية أحداث الرواية، وهو رغبتها في أنْ يساعدها (منصور) على إيجاد طبيبٍ يرقع لها غشاء البكارة.

وتُلحُّ الروايةُ على فكرةٍ مفادها أن الحب الروحي الخالي تمامًا من المطالب المادية أو الجسدية، من الصعب أن ينجح بين رجل وامرأة ارتبطا بدافعٍ من الإعجاب، نعم قد يستمر لمدةٍ معينة، ولكنّ مآله في النهاية إلى الاضمحلال، ويُرصَدُ هذا في عديدٍ من مقاطع الرواية، فمنذ بدأت العلاقة بينهما، وحين طلبتْ (يمامة) من (منصور) أن يكون صديقها، ردّ عليها فورًا بصفته طبيبًا نفسيًا عارفاً بدوافع السلوك البشري قائلاً:

«يا يمامة مثل هذه القرارات تتأتى تلقائياً، يكون هناك كيمياءٌ بين شخصين ثم تبدأ علاقة بينهما ... أنتِ تريدين أن نصبح أصدقاء، وهذا مصطلح فضفاض، قد يكون من الجائز أن تقوم علاقة صداقة بين رجل وامرأة، لكن أعتقد أنها مع الوقت سوف تتحول إلى علاقة عاطفية، سوف تفرض الغريزةُ نفسها، وسوف تتحول إلى علاقة حب أو علاقة جسدية بين الأصدقاء. صدقيني يا يمامة هذه هي الحقيقة، أنا أحدثك من واقع عملي كطبيب نفسي، كرجل خبر الحياة أكثر منك بكثير»[١].

فـ(منصور) هنا يؤكد على أن صداقة الرجل مع المرأة لا تنجح بالنظر إلى مآلها ومنتهاها؛ لأن الدافع الغريزي في الإنسان سيحولها إلى علاقةٍ عاطفية تبرز فيها الغيرة والإعجاب، ثم تؤول في النهاية إلى علاقةٍ جسدية تُفسد الأصل الذي تقوم عليه الصداقات، وهو الحب الروحي. ورأيه هذا يتفق مع دراسةٍ أجراها مجموعةٌ من الباحثين البريطانيين على أكثر من

(١) رحيل اليمامة، ص٦٥-٦٦.

خمسة آلاف رجل وامرأة أقاموا علاقة صداقة مع الجنس الآخر، وقد استطلعتْ الدراسةُ آراءهم من خلال تجاربهم عن إمكانية وجود صداقة بين الجنسين، وخلصتْ الدراسة إلى أن شريحةً منهم أقروا بسلبيات متعددة ناتجة عن الصداقة بين الرجل والمرأة، منها: الغيرة، والارتباك حول وضع العلاقة واحتمالية تحول الصداقة إلى حب، والإشاعات التي يروجها المجتمع عن أطراف العلاقة، وأنّ الرجل لديه قابلية أكثر لتحويل هذه الصداقة إلى علاقة عاطفية تتخللها رغبة في الممارسة الجنسية، وعندما ترفض المرأة تحويل العلاقة من صداقةٍ إلى حب يشعر الرجل بأنه منبوذ فتفشل هذه العلاقة(١).

والإشارة إلى هذه الدراسة التي أجريت في بريطانيا تُجَلّي خَصِيصَةً في روايتي إبراهيم الخضير محل الدراسة، وهي أنّ بنياتهما الجذرية منغرسةٌ في تربة المعرفة السلوكية النفسية، لتتفرع الأغصان عن ثيماتٍ ترجع إلى هذه الجذور، فـ(الحب الروحي) بنية جذرية، يتفرع عنها الفكرةُ المتسلطةُ التالية: (الحب الروحي في العلاقة العاطفية لا وجود له)، وفكرةٌ أخرى متفرعة أيضًا، هي (الصداقة بين الجنسين لا يمكن أن تقوم على حب روحي).

وهاتان الفكرتان المتسلطتان تنبثان في مقاطع متعددة من الروايتين، بل تُشكلان شخصية (منصور/الشخصية المحورية) منذ نشأته، ففي الرواية الأخرى "في انتظار مجيء الرجولة" يحكي (منصور) كيف أن أمه امرأة مزواجة، لا تستقر مع رجل، وأنها بمجرد أن يطلقها رجلٌ، تتزوج رجلًا آخر بعده بمدة قصيرة، وحين تعترض أمها عليها كونها لا تستحي وأن نصف رجال القبيلة مروا على جسدها، تجيبها بأنّ ذلك شرع الله، وأنها لا

(١) يُنظر مقال: هل يمكن أن تجمع الصداقة الرجل والمرأة ، فاطمة عويداد، مجلة حياتك، العدد الصادر بتاريخ ٢٠١٧/١٠/٢٣م، مقال منشور في الشبكة العنكبوتية عبر الرابط: http://hayatouki.com/life-and-relations-advice/content/2483142

تفعل حرامًا[١].

والفكرةُ المتدثرة تحت هذا السرد تنطوي على تَعريضٍ بسلوك والدته التي لا تعرف وفاءً للحب مع من عاشتْ معه ردحًا من الزمان من أزواجها، إذ تندفع وراء مشتهياتها الحسية ضاربةً عُرض الحائط مراعاة الود السابق، وهو ما يؤكد الفكرة المتسلطة السالفة: (الحب الروحي في العلاقة العاطفية لا وجود له)؛ إذْ لو كان له وجود لتريّثتْ كثيرا في اتخاذ قرار قبول الزواج عند أول خاطب.

ويُرصَدُ أيضًا التعريضُ بسلوك زوجته (نضرة بهجت) التي تعرف عليها في مقر عمله بالمستشفى حيث يعملان، وأُعجب بها بعد أنْ أبدتْ له مشاعر حميمية تشي برغبتها بالزواج منه، وقد تلكأ وتردد في قبول عرضها التلميحي بالزواج، لعلمه «بمشكلة أن تكون زوجاً وليس لديك مقومات الزواج الأساسي الذي تنتظره أي امرأة من زوج ترتبط به»[٢] ، بل إنها بعثتْ له رسائل مبطنة بأنها سوف تقبل به حتى لو كان يعاني كل الأمراض والاضطرابات ! [٣] ، وحين يأتي المحك الحقيقي في الأيام الأولى من الزواج تتنكر لكلامها هذا، وتبدي مشاعر استياء لعجزه الجنسي مخاطبةً إياه: «إذا كنتَ تعرف أنك لستَ رجلًا لماذا تزوجتني؟!»[٤]، وهنا يستحيل الحب الروحي/الأفلاطوني إلى وهمٍ، بل إلى قصرٍ من الرمال ينهدم فوراً في أول ليلةٍ لساكنه !

(١) يُنظر: في انتظار مجيء الرجولة، ص٩.

(٢) في انتظار مجيء الرجولة، ص٢٣.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ص٢٣.

(٤) المصدر السابق، ص٣٣.

المبحث الثالث: المرأة العابثة:

مما يُلحُّ من أفكارٍ في هاتين الروايتين فكرة أنّ المرأة كائن عابث، يعبث بالرجل إغراءً واستغلالاً، وهي بنية جذرية تكمن في تلافيف السرد، وتُشكّل إطارَ الشخصيات المرسومة على نحوٍ جلي. والنعتُ بـ(العابثة) يشمل نوعين من السلوك برَزَتْ من خلاله المرأة، الأول: الإغراء باستعمال أدوات الأنوثة التي تملكها، والتي عادةً ما يُذعنُ لها الرجل. والثاني: الاستغلال بتسخير الرجل لتحقيق مطلوبٍ معين يهم هذه المرأة.

وقد يَسوغ أن توصف المرأة العابثة بـ(اللَّعُوب)، وهو وصف شاع في الكتابات الثقافية المعاصرة، إلا أنني أؤثر وصف (العابثة) لدلالته المركزة على معنى اتخاذ الأسلوب المنحرف في العلاقة مع الرجل، وأعني بالمرأة العابثة أي الغاوية المغوية للرجال، والجريئة في إظهار مفاتنها للآخرين بغية الإيقاع بهم في شراك التعلق العاطفي أو الجنسي، ومن ثَمّ استغلالهم لأرَبٍ معين.

وقد نَعَتَتْ (دي سيمون بوفوار) [١] المرأةَ العابثة بأنها: «أخطر النساء، وأنها امرأة ذاتُ خيالٍ دائب التواثب، وأعصاب دائمة الاتقاد ... إنها تحب مهازل الحب وفواجعه، أكثر مما تحب الحب نفسه. والتعرفُ برجلٍ واحدٍ لا يكفيها، بل إن الإخلاص لرجلٍ واحدٍ لا يروقها ... إنها تود أن تكون محبوبةً مرغوبة من الجميع، وهي تبذل أقصى جهدٍ لكي تكون كذلك بشرط أن لا تفقد سلطانها على نفسها وحكمها على تصرفاتها، وقدرتها على العبث بقلب من يحبها، عبثاً يلقي في روعها أنها أقوى من الحب والرجال بل والطبيعة أيضاً ... إلخ» [٢].

---

(١) كاتبة ومفكرة فرنسية، وفيلسوفة وجودية، وناشطة سياسية ونسوية، إضافة إلى أنها منظرة اجتماعية. ورغم أنها لا تعتبر نفسها فيلسوفة إلا أن لها تأثيرا ملحوظا في النسوية والوجودية النسوية، (ت١٩٨٦م) . يُنظر: موسوعة ويكيبيديا، الشبكة العنكبوتية.

(٢) كيف تفكر المرأة، سيمون دي بوفوار، المركز العربي للنشر والتوزيع، مكتبة معروف اخوان، الإسكندرية، د.ط، د.ت، ص ٢٢-٢٣. وفي مقدمة الكتاب إشارةٌ إلى أن عنوان الكتاب الأصلي هو (غرائز المرأة) ، ولكن دار النشر حَوّرتْ العنوان، كما لم تذكر اسم مترجم الكتاب.

إن الروايتين محل الدراسة ترتسمُ فيها شخصية (المرأة العابثة) على نحوٍ تبدو فيه المرأةُ العابثةُ حسناء وفاتنة، وجريئةً في تعاملها مع الرجال، ومبادِرة في الوصول إليه، ومتحررةً من الأغلال الأخلاقية للمجتمع الذي تعيش فيه، وذات شخصيةٍ قوية ومستقلة، وهذه السمات تغري شريحةً من الرجال الأغرار ليتورطوا معها في نهاية المطاف بعلاقة آثمة، إنْ سلموا منها ماديًا واجتماعيًا؛ فلن يسلموا معنوياً؛ إذْ ستؤرقهم آثارُها، وتسلب راحتهم.

و(يمامة) في رواية "رحيل اليمامة" بدتْ عابثة بـ(منصور)، إذ أوقعتْه في شراك التعلق العاطفي باستعمال أدوات الأنوثة الإغرائية، فمنذ أن زارتْه في مكتبه بالمستشفى بوصفها طالبة طب تمارس التدريب العملي، وهي تستعمل معه أساليب متعددة للظفر بإعجابه، عَلَّها تظفر بمطلوبها منه، ذلك المطلوب الذي ظلت تُخفيه زمنًا إلى أن حان وقته، لتتكشف صورتُها في عين (منصور) امرأةً عابثةً تَتَلَّعَبُ به، وربما برجالٍ آخرين.

وبدأتْ عَبَثَهَا مع (منصور) منذ عَرَضَتْ عليه أن تكون صديقةً له معللةً اختيارَها بأنها تريد رجلاً ناضجًا مثقفا متحدثًا لبقًا، وقارئًا نهمًا[1]، وهي هنا غير صادقةٍ في طلبها الصداقة، ولا في النعوت التي أسبغتْها على (منصور)، إذْ لو كانت صادقة لما كاشفتْه في نهاية قصتهما العاطفية أنها تريد منه المساعدة في إيجاد طبيب، لكي يتسنى لها الهجرة إلى أمريكا دون عودة !

إذنْ هي تمارس نفس السمات التي في وصْفِ سيمون دي بوفوار للمرأة العابثة، حيث تصنع مهزلةً من الحب غير الجاد؛ لتكون الفاجعة في نهايته

(١) رحيل اليمامة، ص٦٥.

بصدمة (منصور) حين كشفت له عن رغبتها في الهجرة دون عودة، إنها ترتكب ذات الصفات التي تتحلى بها الفتاة العابثة المتلعِّبَة بعواطف الرجال، والتي تستمد قوتها النفسية من استنزافها لمشاعرهم دون بذْل الوفاء والإخلاص لهم.

ويرصد الباحثُ في المدونة صورةً للمرأة العابثة (اللعوب) تتشكل فيها لتكون وسيلةً لتعرية شريحةٍ من رجال المجتمع المنغلق الذي تصوره الروايتان، إذ لا تبدو المرأةُ لرجال هذا المجتمع ذاتَ قيمة إلا في شكلها الجسدي المغري فقط، ولأجل هذا تنجح المرأة العابثة في إغواء كثيرٍ منهم، وإيقاعهم في حبائلها، فـ(يمامة) تَلْفِتُ نظرَ (منصور) حين حاولتْ إقناعه بقبول صداقتها له بأن عديدًا من الفتيات ينخرطن في علاقة صداقة مع الأطباء، وأنهن استطعن استمالة هذه الشريحة النخبوية من المجتمع(١) ، تلك الشريحةُ التي لم تستطع مقاومة رغبات النفس الدفينة والمختبئة تحت قناعٍ من الرزانة.

وثيمةُ(عَبَثِ المرأة بالرجل عن طريق الإغراء) تَنْسَرِبُ في تضاعيف المدونة(الروايتين) إلى حدٍ يوحي للمتلقي بأن المرأة لا قيمة لها إلا في الجانب الإغرائي فحسْب، وأن الرجل رهينُ عواطفه المكبوتةِ في الـ(هُو/هي) بحسب سيجموند فرويد. ومن النماذج التي تؤكد تَسَلُّطَ هذه الثيمة، نموذج المرأة (كفاح) تلك الفتاة التي طلبتْ أن تلتقي بـ(منصور) لكي تشرح له مشكلتها مع رجلٍ ثري تعمل معه، أفقدها عُذريتها، وظل يبتزها لكونها مقيمة ولا تحمل جنسية البلد الذي تعيش فيه، ويُرصَدُ أنها حين تلتقي به أول مرة تتبرّجُ في شكلٍ جذابٍ وفاتن، كما في يتضح من المقطع الآتي:

«ما إنْ غادر المكانَ حتى ظهرتْ سيدة ترتدي الملابس السعودية

(١) ينظر: رحيل اليمامة، ص٦٤.

التقليدية وتغطي وجهها، طويلة القامة بشكل ملفت للنظر وجسد يميل إلى الامتلاء دون بدانة. علّق رجالٌ كانوا يجلسون بعيدًا عني، كنتُ أسمع حديثهم، عندما عَبَرَت المرأة بالقرب منهم علقوا تعليقًا جنسياً على جسدها بمفردات بذيئة. المكان بدأ يعبق برائحة عطر نسائي ملأ شذاه الأرجاء ... تركتْ جزءًا آخر من غطاء وجهها يسقط، لاح فمُها، كانت تضع أحمر شفاه لونه بين القرمزي والبني ...عندما كشفت عن وجهها؛ بدا حقًا أنْ ليس جسمها المثير فحسب للرجال المحرومين الذين يرتشفون القهوة في قاعة استقبال الفندق، ولكن فمها أيضاً يوحي بامرأةٍ حسية، شهوانية، مثيرة كأنثى تسير متلفعةً بعباءة سوداء»[1].

إذنْ، فالمرأة كما تبدو في هذا المقطع الوصفي تستعمل أفتك أسلحتها للعبث برزانة الرجل، وهو سلاح الإغراء، وإن هؤلاء الرجال لا يستطيعون كبح جماح الـ(هو/هي) فتنطلق ألسنتهم فورًا بالتعليقات الجنسية المعبرة عن انجذابهم نحو جسدها.

ومن الواضح أن الروائي إبراهيم الخضير[2] يوظف معرفته بعلم النفس في صياغة أحداث قصصه، ولكنه يبالغ في عدة مواضع من روايتيه مبالغةً فجّة، إذ يُلحَظُ إمعانه في تضخيم الدافع الجنسي لدى الجنسين، إلى حدٍ لا يستطيع الإنسانُ رجلاً كان أو امرأة أن يسيطر على شهواته ونزواته! وهو بهذا يُغفِل عدة اعتبارات تجعل من تصويره مجافيًا للصورة الواقعية التي ينبغي أن يقترب منها الكَوْن السردي التخييلي، بما أن الرواية أصلاً واقعية.

---

(١) رحيل اليمامة، ص٢٦-٢٧.

(٢) إبراهيم بن حسن الخضير هو طبيب نفسي سعودي، له إسهاماتٌ في كتابة الرواية، وقد وظّف معرفتَه بعلم النفس في صياغة عددٍ من رواياته، كانت أولى رواياته كتابةً: "عودة إلى الأيام الأولى" ٢٠٠٤م، ثم "رحيل اليمامة" ٢٠٠٨م، ثم "في انتظار مجيء الرجولة" ٢٠١٠م، ثم أخيرًا "قصام"٢٠١٨م.

الفصل الثاني: دور الفرويدية في تشكيل الشخصيات

المبحث الأول: الإنسان تحت تأثير الـ(هو/هي):

حين يستقرئ الباحثُ الأفكارَ في الروايتين يجد ثيمة (الإنسان تحت تأثير الـ"هو/هي")[١] حاضرةً وفاعِلةً، وهي ثيمةٌ تشكل بنيةً جذريةً تتبني عليها عدةُ أحداثٍ تُنجزها الشخصيات في الفضاء الزماني والمكاني لكلا الروايتين، ويمكن تقسيم هذه الثيمة إلى فرعين:

أ- الرجل في نظر المرأة:

من الواضح لقارئ الروايتين أنّ المحرك الأساس لارتباط المرأة بالرجل هو مدى قدرته الجنسية، حيث لا تَعُدُّ المرأةُ الرجل رجلاً إلا حين يكون مقتدرًا من الناحية الجنسية، ودون هذه المقدرة فإنها ستراه ضعيفاً لا وزن له ولا قيمة، ويُلحظُ هذا منذ مطلع رواية "في انتظار مجيء الرجولة" ، إذ يحكي السارِدُ (منصور/بطل الرواية) قصة عقْدِ قرانه مع (نضرة بهجت) وكيف أنها دعته إلى منزل أهلها لتناول العشاء، وكيف أنه تفاجأ بحركاتها الإغرائية لتتعرف على مدى ميله الجنسي نحوها، وكان منتظِرًا منها تعرّفها على الجوانب العقلية الروحية، وكأنه لا هَمَّ لهذه المرأة التي سيرتبط بها إلا الجنس ! [٢].

وفي مقطعٍ آخر من الرواية يدور حوارٌ بين (منصور) وطبيبته النفسية

---

(١) الـ"هو/هي" هو أحد الأقسام الثلاثة للنفس البشرية بحسب سيغموند فرويد، ويُرادُ بالـ(هو/هي) أي الغرائز والدوافع الجنسية والعدوانية، والصورة البدائية للشخصية، أي طبيعة الإنسان الحيوانية قبل أن ينالها المجتمع بالتهذيب، فضلاً عن أن هذا الجانب الشعوري في الـ(هو/هي) يعمل على وَفْق مبدأ اللذة وتجنب الألم، أي أنه يندفع إلى إشباع دوافعه اندفاعا عاجلاً وبأي صورة، دون مراعاة المنطق والأخلاق والواقع. ينظر: نظريات الغرائز والدوافع والحوافز والحاجات الإنسانية، مهدي صالح السامرائي، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٢١م، ص٩٨.

(٢) ينظر: في انتظار مجيء الرجولة، ص ٢٤-٢٥.

(الدكتورة إيفون) يشير إلى الإلحاح على هذه الفكرة مع ربطها بإحدى مدارس التحليل النفسي، حيث تخاطب (إيفون) (منصور) قائلة:

«إنه من الصعب على أي شخص أن يفهم تحليلات فرويد والطريقة التي يفسر بها العلاقات من ناحية جنسية، إن فرويد يرى بأن اللذة هي في الجنس، وبناء على هذا فإن تفسيره للعلاقات بين الأشخاص، حتى بين أفراد العائلة، يفسره بطريقة اللذة الجنسية إلخ»(١).

و(إيفون) وهي شخصية نسائية تُلمِحُ هنا إلى تَبنّيها النظرة الفرويدية في العلاقات، تلك النظرة التي ترى في الجنس أساسًا للعلاقة العاطفية بين الرجل والمرأة، فضلاً عن العلاقات الأخرى داخل إطار العائلة التي يعتسف فيها فرويد تفسير أساس العلاقة، كما في تفسيره للعلاقة بين الابنة وأبيها، والابن وأمه !

وفي مقطع آخر يتذكر (منصور) كيف أنه تأثر بسيرة جان جاك روسو الذاتية، إذْ ضَمَّنَ سيرتَه الذاتية إشادةً وإعجابًا بـ(مدام فاران)، تلك السيدة ارتبط بها روسو عاطفيًا، وكانتْ مهتمةً بالدرجة الأولى بتعليمه ممارسة الجنس، وبقيا على علاقةٍ عاطفية حتى تخلّتْ عنه لأجل شابٍ سكن معها(٢).

وهنا يُرصَدُ أن المرأة(مدام فاران) تهتم بالدرجة الأولى حين ترتبط عاطفيًا بـ(جان جاك روسو) بتعليمه كيفية ممارسة الجنس، ويظلان في علاقةٍ هانئة إلى أنْ تتركَه لأجل رجلٍ أكثر شبابًا وفتوة منه، دون مراعاةٍ لقيم الوفاء والذكرى المشتركة.

وهو نفس الملحظ عند شخصية نسائيةٍ أخرى في الرواية، وهي

(١) في انتظار مجيء الرجولة، ص١٦٧

(٢) ينظر: في انتظار مجيء الرجولة، ص١٤٨-١٤٩

والدةُ(منصور) التي تسببتْ في عقدته النفسية تجاه الجنس حين تزوجتْ فورًا بعد وفاة والده، إذ تصفها جدتُّه في أحد المقاطع بقولها:

«هذه الفزعة من الذي شاهده ولدي(منصور) من أفعال أمه ... وهي امرأةٌ لا تصبر عن رجلٍ يُضاجعها حتى ولو كان لا يصرف عليها!» (١).

وفي رواية "رحيل اليمامة" تعترف (يمامةُ) لـ(منصور) بأنها وقَعَتْ في العلاقة المحرّمة وفقدتْ عُذريتها، وأن سبب ذلك هو عدم قُدرتها على التحكم بأهوائها ورغباتها المكبوتة، بل إنها تزيدُ فِعْلَتَها تسويغًا حين تحتجُّ بأن كثيرًا من الفتيات فقدْن عُذريتهن لهذا السبب ! حيث تقول:

«ماذا تظنني قديسة ؟! هل تتوقع مني وأنا أعيش في هذا المحيط وهذه الأجواء أن أبقى عذراء وأنا في سن السادسة والعشرين؟ لستُ الوحيدة التي قامت بهذا العمل، هناك العشرات بل ربما المئات في مثل وضعي»(٢).

ويُلحَظُ هنا أن (يمامة) ترى أن ما تسميه (المحيط) و(الأجواء) تدفعها نحو ممارسة الرغبات المحرمة مما تشتهيه نفسُها، وكأنه لا قُدرة للإنسان على التحكم برغباته وشهواته، وهذا المقطع يتوافق مع التعريف الفرويدي لـ(هو)، فإذا كان صاحب الـ(هو) ينطلق في ممارسة اللذات دون مراعاة المنطق والأخلاق والواقع؛ فإن (يمامة) وغيرها من الفتيات كذلك، يَندفعن مستجيباتٍ لداعي الهوى والشهوة دون مراعاةٍ للدين والأخلاق والواقع الذي يُجَرّمُهنَّ إذا خسرن عُذريتهن، فهن لا يأبهن في سبيل ممارسة الرغبات المكبوتة في الـ(هو) أنْ يَخسرن غشاء البكارة رغم كونها خسارةً تكلفهن الكثير، وهُنّ إلى ذلك يَنظرُن إلى الرجل نظرةً تختصره في جانب القدرة الجنسية دون اهتمامٍ منهن بالجوانب القيمية والأخلاقية والدينية.

(١) في انتظار مجيء الرجولة، ص٦٨

(٢) رحيل اليمامة، ص٢٨٥.

ب- المرأة في نظر الرجل:

باستثناء شخصية (منصور) فقد بَدَتِ المرأةُ في منظور الرجل في كلا الروايتين كائنًا يثير الشهوة فحسْب، وهو كائنٌ لا يصلح أن يكون غير ذلك، وهذا مَلمحٌ لربما يجعل قارئ الروايتين يُصاب بالإحباط من أنْ يجد للمرأة قدراتٍ أخرى غير إثارة شهوة الرجل والتعامل مع نزواته الشهوانية المكبوتة ! بل حتى شخصية (يمامة) في رواية "رحيل اليمامة"، تلك المرأة التي تعرفتْ على (منصور) وادّعتْ أنها تحب فيه عقله وعلمه وثقافته، إذْ نكتشف في النهاية أنها كانت تُمثّل عليه دور المعجبة بعقله، وأنها إنما كانت تريده لخدمة معينة !

إذنْ فالمرأةُ في نظر الرجل -كما في الروايتين- لا تصلح إلا أن تكون للإغراء والتغزل والجنس، والمآل الذي آلتْ إليه الأحداثُ في الروايتين أكّدَ للقارئِ فشل(منصور) في الحفاظ على العلاقات النسائية، كونه رجلاً عاجزًا جنسيًا، وكان ينبغي عليه منذ البداية أن لا يُعجَبَ بأي امرأةٍ من ناحية عقلها وروحها، بل عليه أنْ تكون نظرته إليها مقتصرةً على النظرة الشهوانية الجنسية إذا أرادَ أن تنجح علاقته بالمرأة، وبما أنه يفتقد للميل الجنسي فإنّ علاقاته كلها محكومٌ عليها بالفشل، ولهذا نجد أنّ أحداث الروايتين لا تنتهي إلا وهو خالي الوفاض من العلاقات النسائية الناجحة.

وفي مقطعٍ من رواية "رحيل اليمامة" تأتي (كفاح) إلى المكان الذي اتفقت أن تلتقي فيه بالدكتور(منصور)، وما إنْ تَمُرّ بمجموعة رجالٍ جالسين حتى تَصْدُرَ منهم تعليقاتٍ تتضمن تَغزّلاً فاحِشًا بجسدها، ثم يُضيفُ الراوي المشارِك[1] (منصور) قائلًا:

(١) الراوي المشارك ويسمى أيضًا في علم السرد بالراوي الداخلي، وهو شخصية حكائية موجودة داخل الحكي، وهي شخصية تشارك في الأحداث، وتكون شخصية رئيسة في القصة. ينظر: بنية النص السردي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص٤٩.

«عندما كشفت عن وجهها، بدا حقًا أن ليس جسمها المثير فحسب للرجال المحرومين، الذي يرتشفون القهوة في قاعة استقبال الفندق، ولكن فمها أيضًا يوحي بامرأة حسية، مثيرة كأنثى تسير متلفعة بعباءةٍ سوداء»(١).

تبدو هنا صورةٌ للرجل وهو مندفعٌ بالدافع الغريزي الجنسي دون قدرةٍ على كبْحِ جِماحِ هذا الاندفاع! فهو لا يستطيع إمساكَ لسانِهِ فيمنعَه عن التعليق إذا رأى امرأةً تَعْبُرُ بجواره، فضلاً عن أنْ يُمسِكَ غريزتَه ويتحكم فيها لكيلا تَزِلَّ فَيَقَعَ في تَبِعَاتِ هذا الزلل، ومع أنّ (كفاح) مرتْ بجوارهم وهي مُحجّبة؛ لم يَمنع حِجابُها الرجالَ مِنْ إطْلاقِ الـ(هو) الفرويدي وجَعْلِهِ يَسْرَحُ مُنْفَلِتاً من رقابةِ الـ(الأنا) و(الأنا العُليا)! وإنْ شِئتَ فقل: لم يَمْتَنِع الـ(هو) الفرويدي مِن ركوبِ إرادة الإنسان الحُرّة والتحكم بها رَغْماً عنه.

وهذا الملمح السردي يُنبئ عن احتفاء يَلحظُه قارئ الروايتين بمدرسة التحليل النفسي الفرويدي التي ترى أن العوامل النفسية الغريزية لها قدرةٌ على التحكم بكثيرٍ من سلوكات الإنسان، وأنّ هذه السلوكات الظاهرة والباطنة لها جذورٌ ترتدُّ إلى عُقَدٍ معينة، أو غرائز مدفونة في اللاشعور (٢).

(١) رحيل اليمامة، ص٢٦-٢٧.

(٢) يرى فرويد أن كثيرا من العواطف والرغبات والميول التي لم يستطع الإنسان إشباعها، لأنها غير ملائمة لآداب المجتمع ولا متفقة مع تقاليده وقواعده ونظمه، يحاول كبتها فتغوص في مجال اللاشعور وتستقر في ظلام، فلا يشعر الإنسان بها، ومع ذلك فهي التي تهيمن على تصرفاته وتتحكم في توجيه سلوكه. ينظر: علم نفس الشخصية، كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩٦م، ص١٤٠.

المبحث الثاني: عقدة الكبت:

الكبتُ في الدراسات النفسية يُمكن عَدّه عقدةً باعتبار ما تؤول إليه عملية الكبت من أنماطٍ حسيةٍ وفكريةٍ غير سوية مرتبطةٍ بجذورٍ عميقةٍ في نفس الشخص المصاب بها. ويُعَرِّفُ أحدُ الباحثين الكبت بأنه عملية عقلية مفترضة تنشط من أجل حماية الفرد من الأفكار والاندفاعات والذكريات التي يمكن أن ينتج عنها القلق والخوف والشعور بالذنب إذا أصبحتْ واعيةً أي في مستوى الشعور الشخصي، إذْ تظل المكبوتات قابعةً في مستوى اللاشعور، ولا تَخمد أو تموت، بل تستمر في وجودها الحي عند هذا المستوى(١).

وتُعَدّ (عقدة الكبت) فكرةً مترددةً في طيات الروايتين، وجذرًا موضوعيًا تتفرع منه ثيماتٌ فاعلة ومكونة لبعض شخصيات القصة وأحداثها، وهذا يُعيدنا إلى تعريف جان بول ويبر الذي يرى فيه أنّ الجذر الموضوعي في النصوص الأدبية هو عبارة عن حادث أو موقف يمكن أنْ يَظهر بصورة شعورية أو لا شعورية في نصٍ ما، بصورةٍ واضحة أو رمزية، فهو يقارب العقدة في التحليل النفسي؛ لأنه يظل غير مفهوم من الكاتب نفسه باعتباره يعود إلى عهد الطفولة(٢) ، فالتشابه قائمٌ بين دلالة الجذر الموضوعي في النص، وبين دلالة العقدة في التحليل النفسي. وأحدُ أوجه الافتراق بينهما أنّ دلالة الجذر الموضوعي تَظهر في النصوص الأدبية، بينما دلالة العقدة تَظهر في سلوك الإنسان.

---

(١) ينظر: الأسس النفسية للإبداع الأدبي- في القصة القصيرة خاصة-، شاكر عبدالحميد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، ١٩٩٢م، ص٥٢.

(٢) ينظر: النقد الموضوعاتي، محمد عزام، مجلة الموقف الأدبي-اتحاد كتاب العرب ، ع ٣٥٦، ٢٠٠١م، ص٨.

ويُلحظُ في الروايتين أنّ (منصور) يعاني من عقدة الكبت، وهي عقدةٌ نشأتْ لديه منذ كان طفلاً يرى أمّه تنتقل من زوجٍ إلى زوج، بل أكثر من ذلك حين يراها في وضعٍ حميمي مع أحد أزواجها بعد وفاة أبيه[١] ، فأورَثَه ذلك عقدةَ كبتٍ يُمكنْ أن تُسمى بـ(عقدة أوديب) [٢] ، وتُرصَدُ أثرُ هذه العقدة لدى(منصور) في أحد مقاطع رواية "في انتظار مجيء الرجولة"، حيث يحكي عن نفسه حين كان طفلاً:

«هذه الليلة سوف أنام عند أمي. كنتُ أعتقد بأنها سوف تضمني في حضنها كما تفعل جدتي ... ولكن عندما أرتني الفراش الصغير الذي بجانب الباب، والفراشَ الكبير الذي أعدته لرجل سوف يأتي لينام معها، وطلبها مني عدم النظر إذا سمعتُ أي صوت. تحذيرٌ أخافني، ماذا سيحدث حتى تطلب مني أمي بأن أدير وجهي نحو الحائط إذا سمعتُ أيّ صوتٍ. ماذا تعني بهذا الصوت؟ ... بدأ الغثيان يحرك معدتي أحسستُ بأني سوف أتقيّأ. حاولتُ الإمساك بنفسي عن التقيؤ، لكني لم أستطع»[٣].

ومن هنا تنشأ لديه عقدة الكبت التي ستستمر معه طوال مراحل حياته، كما هو ظاهرٌ في أحداث الروايتين، وتتشكل لديه سمةٌ يبدو فيها عازفًا عن العلاقة الحميمية مع الزوجة، ذلك أن الكبتَ الذي نشأ معه منذ الطفولة بسبب علاقة أمه بزوجها، تحوّل إلى كُرهٍ لكل أشكال الاتصال الجنسي. وهذا ما يُفسر ازوراره عن (يمامة) كما يُرصد في رواية "رحيل اليمامة"، وعزوفه أيضًا عن زوجته كما نجده في رواية "في انتظار مجيء الرجولة"،

(١) ينظر: في انتظار مجيء الرجولة، ص٥٩-٦٠.

(٢) عقدة أوديب هي الغيرة على الأم من الأب التي تنشب في قلب الطفل الصغير، وقد استمدها من مسرحية "أوديب ملكًا" لسوفوكليس. ينظر: نظريات التحليل النفسي والمسرح، بشرى سعيدي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط١، ٢٠١٧م، ص٣٠.

(٣) في انتظار مجيء الرجولة، ص٥٩-٦١.

فـ(يمامة) حاولتْ إغراءه بالعلاقة الآثمة، ولم يستجب لها، معترفًا لها بعجزه عن ذلك. وزوجته (بهجت نضرة) كذلك اعترف لها بعجزه عن الاتصال الجنسي بعد زواجه منها. على أنه دائمًا ما يؤكد في تضاعيف حواراته المتناثرة في الروايتين على أهمية العلاقة الروحية(العُذرية)، ويحاول إعلاء قيمتها على العلاقة الجسدية بين الجنسين، ولعله بهذا السلوك يحاول تجاوز عقدة الطفولة التي تكونت لديه بسبب صدمته حين رأى والدته في علاقة حميمية مع زوجها الجديد.

المبحث الثالث: أثر شخصية كاتب الروايتين في شخصية البطل:

الإبداع الأدبي في شقيه النثري والشعري هو حصيلةُ انفعالٍ نفسي امتزجتْ فيه المشاعر والأفكار لدى الذات المبدعة؛ لتتجسد في النهاية على شكل فنٍ لغوي مؤثر؛ فالانفعال النفسي أساسٌ للإبداع الأدبي(اللغوي).

وبناءً على هذا فإن شخصية المنشِئ لابد أنْ تتركَ أثرًا من سماتها في إبداعها، ولاسيما الإبداع الروائي؛ إذ قد يُضفي كاتبُ الرواية بعض سماته الشخصية على شخصيةٍ خيالية مختَرَعَة، وهذا أمر مفهوم إذا ما تصورنا أن وعي الروائي يختزن عديدًا من التجارب الحقيقية التي عاشها، والشخصيات الواقعية التي تعامل معها، ثم حين يريد خَلْقَ كَوْنِه الروائي؛ نجده يمزّق واقعَه ويعيد تركيبه من جديد في شكل قصة/رواية يشتبك فيها الخيالي بالواقعي، وهنا يَصعُبُ التمييز بينهما، بل إن بعض الشخوص الخيالية في الرواية تتكون من سماتٍ واقعية تنتمي في ذهن الروائي إلى شخصٍ حقيقي، وبعضها الآخر هي من خياله المحض، هذا في إطار الشخصية الروائية الواحدة؛ فما بالك حين تتعدد الشخصيات، وتتنوع الأحداث؟!

وفيما يتعلق بالروايتين محل الدراسة فإن كاتبهما (إبراهيم الخضير) يُعنى فيهما بجوانب ترتبط بعلم النفس، ولاسيما مدرسة التحليل النفسي لسيجموند فرويد، حيث جعل البطل المحوري (منصور) في الروايتين طبيبًا نفسيًا، وكذلك جَعَلَ الطبيبة المعالجة لـ(منصور) في رواية "في انتظار مجيء الرجولة" وهي الدكتورة إيفون أدمو، ونراه يُفيضُ من خلال هاتين الشخصيتين في تفاصيل دقيقة تَرْجِع في أصولها إلى مدرسة "التحليل النفسي".

وحين يحاول الباحثُ إيجاد تعليل لهذا الاهتمام من الروائي بتوظيف علم النفس في روايتيه؛ فإنه يجد في سيرة الباحث ما يشير إلى تخصصه في علم النفس(١)، وما من شكٍ أنّ الثيمات أو الأفكار المُلحّة التي نعثر عليها في النص الأدبي ستكون مبررةً إذا كان صاحب النص متخصصًا في دراسة المجال العلمي الذي تنتمي إليه هذه الثيمات/الأفكارُ الملحة.

وقد أشار الروائي(إبراهيم الخضير) في لقاء صحفي آخر إلى أن جزءاً من سيرته موجودٌ في شخصية (منصور/بطل الروايتين)، ولكن (منصور) كشخصية متكاملة لا ينتمي إلى شخصٍ واقعي، أي أن (منصور) ليس متطابقًا مع مُنْشِئهِ (إبراهيم الخضير)، بل فيه ملامح منه. يقول إبراهيم الخضير:

« مشكلة من يكتب مثل هذا النوع من الروايات دائمًا يُتهم بأن العمل الروائي هو سيرته الذاتية بحكم إن بطل الرواية طبيب نفسي، وهو نفس عملي فقد ظن البعض بأن الرواية سيرة ذاتية، ولكنها غير ذلك. لقد كان حضور السيرة الذاتية موجوداً، ولكن بصورة بسيطة»(٢).

إذن، الروائي/الخضير يُقِرُّ هنا بأن السيرة الذاتية حاضرة في روايتيه، ولكنْ حضورَها يتجلى على نحوٍ بسيط، ولا ريب أنّ هذا الحضور ولو كان بسيطًا سيؤثر في تشكيل شخصية البطل/منصور، وستنجدل في خيوط السرد ثيماتٌ فاعلة ودالة على مُنشِئها الواقعِ خارجَ الكون الروائي المتخيَّل، ولعل من أوضح الأمثلة على ذلك هو التشابه بين السرد الاسترجاعي الذي قام به (منصور) في كلا الروايتين، وعَرَضَ فيه نشأته

(١) أشار الروائي إلى ذلك في إحدى المقابلات التي أجريت معه. يُنظر: جريدة الجزيرة، ع١٧١٧٣، بتاريخ ٦ صفر ١٤٤١هـ.

(٢) جريدة اليوم السعودية، ع٢٢٣١٧٢، بتاريخ ٢٢ نوفمبر ٢٠٠٤م.

وعلاقته بأمه وجدته، رغم أن المؤلف لم يشر إلى أن البطل/منصور في الرواية الثانية "في انتظار مجيء الرجولة" هو نفسه الذي في الرواية الأولى "رحيل اليمامة"، وهذا يَدفع إلى الاستنتاج بأن تكرار سمات شخصية معينة في أكثر من رواية يدل على أن لها وجودا واقعيًا ولو بنحو جزئي، وهو ما صرّح به كاتب الروايتين في الاقتباس السالف.

- **نتائج الدراسة:**

١- تتبلور فكرة ملحة في روايتي(رحيل اليمامة) و(في انتظار مجيء الرجولة) وهي أنّ المجتمع الذي تصورانه يرى أن الرجولة مرتبطة بالدرجة الأولى بمقدرة الرجل الجنسية.

٢- أنّ فكرة وجود الحب الروحي الخالص من المطالب المادية تعد بنية جذرية عميقة في كلا الروايتين؛ إذ تعبر عن سلوك البطل/منصور، حيث لم تنجح علاقاته مع الجنس الآخر حين كان الحب الروحي الخالص مطلَبَه في هذه العلاقات.

٣- تلحّ رواية (رحيل اليمامة) على فكرة أنّ الصداقة بين الجنسين الرجل والمرأة لابد أن تكون مشوبة بدوافع غريزية أو مادية وأنها ستتحول في النهاية إلى علاقة عاطفية، وهذا ما رصده الباحث في علاقة (منصور) بـ(يمامة)، حين طلبت منه أن يكون صديقاً.

٤- بدت بعض الشخصيات النسائية في الروايتين وهي في صورة كائن عابث يغري الرجل بوصفه كائنًا لا يملك زمام غرائزه، كما بدا ذلك في شخصيتي(يمامة) و(كفاح).

٥- برزتْ بعض شخوص الروايتين واقعةً تحت تأثير الـ(هو) الفرويدي؛ إذ تُقَدّمُ الروايتان بعض شخوصها في صورةٍ تمارس فيها الـ(هو) الفرويدي دون شعورٍ بتأثير (الأنا) و(الأنا العليا)، فـ(يمامة) سوّغَتْ لنفسها سلوكها المنحرف بأنها كانت مندفعة بدافع الكبت، و أم (منصور) تتعدد زيجاتها بدافعٍ غريزي أكثر من أي شيء آخر كما بيّنه الراوي.

٦- تلح الروايتان على فكرة أن للكبت والعقدة النفسية دورًا في تشكّل سمات الشخصيات؛ فالبطل/منصور يبدو عازفًا عن العلاقة الحميمية مع الزوجة، ذلك أن الكبتَ الذي نشأ معه منذ الطفولة بسبب علاقة أمه بزوجها، تحوّل إلى كُرهٍ لكل أشكال الاتصال الجنسي.

٧- أسهم وجود تشابهٍ بين كاتب الروايتين مِنْ طَرف، والشخصية المحورية فيهما من طرفٍ آخر، في تشابه البنى الجذرية/الثيمية الفاعلة، إذْ كلاهما يعمل في الطب النفسي، وهو ما يُجسّر العلاقة بين الشخصية الواقعية الخارجة عن الكَوْن القصصي، وبين الشخصية الخيالية المنْشَأَة في القصة، مما يجعل البنى الجذرية/الثيمات ذات تأثير ودلالة.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية

- قائمة المصادر:

- رحيل اليمامة، إبراهيم الخضير، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
- في انتظار مجيء الرجولة، إبراهيم الخضير، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠١٠م.

- **قائمة المراجع:**

- الأسس النفسية للإبداع الأدبي- في القصة القصيرة خاصة-، شاكر عبدالحميد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، ١٩٩٢م.
- بنية النص السردي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- الحب في التراث العربي، محمد حسن عبدالله، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، ١٩٨٠م.
- حركة التأليف والنشر الأدبي في المملكة العربية السعودية خلال عشرين عامًا: ٢٠٠٠-٢٠٢٠م، خالد بن أحمد اليوسف، مركز البحوث والتواصل المعرفي، الرياض-السعودية، ط١، ٢٠٢١م.
- سوسيولوجيا الغزل العربي-الشعر العذري نموذجاً، الطاهر لبيب، ت:مصطفى المسناوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان-بيروت.
- عقدة أوديب في الرواية العربية، جورج طرابيشي، دار الطليعة، لبنان-بيروت، ط٢ ، ١٩٨٧م.
- علم نفس الشخصية، كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩٦م.
- كيف تفكر المرأة، سيمون دي بوفوار، المركز العربي للنشر والتوزيع، مصر-الإسكندرية، د.ط، د.ت.

- محاورة فايدروس لأفلاطون أو عن الجمال، ت: أميرة حلمي مطر، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- مدخل إلى المناهج النقدية في التحليل الأدبي، إعداد: مجموعة مؤلفين، ت: الصادق قسومة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ٢٠٠٨م.
- المدخل إلى نظرية النقد النفسي- سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد نموذجًا، زين الدين المختاري، منشورات اتحاد الكتاب العرب (كتاب رقمي)، ١٩٩٨م.
- موسوعة النظريات الأدبية، نبيل راغب، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، الجيزة- مصر، ط١، ٢٠٠٣م.
- نظريات التحليل النفسي والمسرح، بشرى سعيدي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط١، ٢٠١٧م.
- نظريات الغرائز والدوافع والحوافز والحاجات الإنسانية، مهدي صالح السامرائي، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٢١م.

-المقالات والدوريات والمجلات.

- الرجولة في أدبيات حمزة شحاته، محمد بن مريسي الحارثي، جريدة الرياض، ع١٣٨٠٧، ١٥ ربيع الأول ١٤٢٧هـ.
- لقاء مع الروائي إبراهيم الخضير، جريدة الجزيرة، ع١٧١٧٣، بتاريخ ٦ صفر ١٤٤١هـ.
- لقاء مع الروائي إبراهيم الخضير، جريدة اليوم السعودية، ع٢٢٣١٧٢، بتاريخ ٢٢ نوفمبر ٢٠٠٤م.
- النقد الموضوعاتي، محمد عزام، مجلة الموقف الأدبي-اتحاد كتاب العرب ، ع ٣٥٦، ٢٠٠١م.
- هل يمكن أن تجمع الصداقة الرجل والمرأة ، فاطمة عويداد، مجلة حياتك، العدد الصادر بتاريخ ٢٠١٧/١٠/٢٣م.

List of sources and references

- **List of sources:**

- Raḥīl al-Yamāmah, Ibrāhīm al-Khuḍayr, Mu'assasat al-Intishār al-'Arabī, Bayrūt-Lubnān, Ṭ1, 2008M.
- fī intiẓār majī' al-rujūlah, Ibrāhīm al-Khuḍayr, Mu'assasat al-Intishār al-'Arabī, Bayrūt-Lubnān, Ṭ1, 2010m.

- **List of references:**

- Al-Usus al-nafsīyah lil-ibdā' al'dby-fī al-qiṣṣah al-qaṣīrah khāṣt-, Shākir 'Abd-al-Ḥamīd, al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-'Āmmah lil-Kitāb, al-Qāhirah, D. Ṭ, 1992m.
- Binyat al-naṣṣ al-sardī, Ḥamīd Laḥmidānī, al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī lil-Ṭibā'ah wa-al-Nashr, Bayrūt, Ṭ1, 1991m.
- Al-ḥubb fī al-Turāth al-'Arabī, Muḥammad Ḥasan Allāh, al-Majlis al-Waṭanī lil-Thaqāfah wa-al-Funūn wa-al-Ādāb, al-Kuwayt, Ṭ1, 1980m.
- Ḥarakat al-Ta'līf wa-al-Nashr al-Adabī fī al-Mamlakah al-'Arabīyah al-Sa'ūdīyah khilāl 'ishrīn 'āman : 2000-2020m, Khālid ibn Aḥmad al-Yūsuf, Markaz al-Buḥūth wa-al-Tawāṣul al-ma'rifī, alryāḍ-āls'wdyh, Ṭ1, 2021m.

- Sūsiyūlūjiyā al-ghazal al'rby-ālsh'r al-'udhrī namūdhajan, al-Ṭāhir Labīb, t : Muṣṭafá al-Misnāwī, Dār al-Ṭalī'ah lil-Ṭibā'ah wa-al-Nashr, lbnān-byrwt.
- 'uqdat Ūdīb fī al-riwāyah al-'Arabīyah, Jūrj Ṭarābīshī, Dār al-Ṭalī'ah, lbnān-byrwt, ṭ2, 1987m.
- 'ilm nafs al-shakhṣīyah, Kāmil Muḥammad 'Uwayḍah, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Bayrūt-Lubnān, Ṭ1, 1996m.
- Kayfa tufakkir al-mar'ah, Sīmūn Dī Būfwār, al-Markaz al-'Arabī lil-Nashr wa-al-Tawzī', mṣr-āl'skndryh, D. Ṭ, D. t.
- Muḥāwarat fāydrws l'flāṭwn aw 'an al-Jammāl, t : Amīrah Ḥilmī Maṭar, al-Qāhirah, Dār Gharīb lil-Ṭibā'ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī'.
- Madkhal ilá al-Manāhij al-naqdīyah fī al-Taḥlīl al-Adabī, i'dād : majmū'ah mu'allifīn, t : al-Ṣādiq Qassūmah, Jāmi'at al-Imām Muḥammad ibn Sa'ūd al-Islāmīyah, al-Riyāḍ, Ṭ1, 2008M.
- Al-Madkhal ilá Naẓarīyat al-naqd alnfsy-Saykūlūjīyat al-Ṣūrah al-shi'rīyah fī Naqd al-'Aqqād namūdhajan, Zayn al-Dīn al-Mukhtārī, Manshūrāt Ittiḥād al-Kitāb al-'Arab (Kitāb raqmī), 1998M.
- Mawsū'at al-naẓarīyāt al-adabīyah, Nabīl Rāghib, al-Sharikah al-Miṣrīyah al-'Ālamīyah lil-Nashr Lūnjmān, aljyzt-Miṣr, Ṭ1, 2003m.

- Naẓarīyāt al-Taḥlīl al-nafsī wa-al-masraḥ, Bushrá Sa'īdī, Dār Ghaydā' lil-Nashr wa-al-Tawzī', 'Ammān-al-Urdun, Ṭ1, 2017m.
- naẓarīyāt al-gharā'iz wa-al-dawāfi' wālḥwāfz wālḥājāt al-Insānīyah, Mahdī Ṣāliḥ al-Sāmarrā'ī, Dār al-Yāzūrī lil-Nashr wa-al-Tawzī', 'Ammān, al-Urdun, Ṭ1, 2021m.

- ālmqālāt wa-al-dawrīyāt wa-al-majallāt.

- Al-rujūlah fī Adabīyāt Ḥamzah Shiḥātah, Muḥammad ibn Marīsī al-Ḥārithī, Jarīdat al-Riyāḍ, '13807, 15 Rabī' al-Awwal 1427h.
- liqā' ma'a al-riwā'ī Ibrāhīm al-Khuḍayr, Jarīdat al-Jazīrah, '17173, bi-tārīkh 6 Ṣafar 1441h.
- liqā' ma'a al-riwā'ī Ibrāhīm al-Khuḍayr, Jarīdat al-yawm al-Sa'ūdīyah, '223172, bi-tārīkh 22 Nūfimbir 2004m.
- Al-naqd al-mawḍū'ātī, Muḥammad 'Azzām, Majallat al-Mawqif al'dby-āthād Kitāb al-'Arab, 'A 356, 2001M.
- Hal yumkinu an Tajammu' al-Ṣadāqah al-rajul wa-al-mar'ah, Fāṭimah 'wydād, Majallat ḥayātik, al-'adad al-ṣādir bi-tārīkh 23/10/2017m.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة.	٩٩١
تمهيد.	٩٩٧
الفصل الأول: البنيات الجذرية للموضوعات	١٠٠٣
المبحث الأول: الرجولة الناقصة.	١٠٠٣
المبحث الثاني: الحب الروحي المفقود.	١٠٠٧
المبحث الثالث: المرأة العابثة.	١٠١٢
الفصل الثاني: دور الفرويدية في تشكيل الشخصيات	١٠١٦
المبحث الأول: الإنسان تحت تأثير الـ(هو/هي).	١٠١٦
المبحث الثاني: عقدة الكبت.	١٠٢١
المبحث الثالث: أثر شخصية كاتب الروايتين في شخصية البطل.	١٠٢٤
نتائج الدراسة	١٠٢٧
قائمة المصادر والمراجع	١٠٢٩